العدد 2381 - السنة الثامنة
الأربعاء 24 ربيع الآخر 1437 - الموافق 3 فبراير 2016
Wednesday 3 February 2016 - No.2381 - 8th Year

إعداد : ياسر السيد

قرنهما الله عز وجل في كتابه الكريم

العلاقة بين الصبر والصلاة

قرن الله جل وعلا في القرآن الكريم بين الصبر والصلاة ، كقوله تعالى : (واستعينوا بالصبر والصلاة) البقرة(آية45)،وقوله :(يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة)البقرة (آية 153)، وفي ذلك سر لمن تامله

فما وجه الشبه بين الصبر والصلاة ؟وما سر الاقتران بينهما ؟

أما وجه الشبه بين الصبر والصلاة : فهو أن كلاهما «نور» يدل على ذلك ما رواه أبو مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال :قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : (الطهور شطر الإيمان...والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء)رواه مسلم(رقم223).

قال ابن رجب رحمه الله :(فهذه الأنواع الثلاثة من الأعمال أنوار كلها ، لكن منها ما يختص بنوع من أنواع النور،فالصلاة نور مطلق) ثم قال رحمه الله عن الصبر: (وأما الصبر فإنه ضياء والضياء هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة وإحراق ، كضياء الشمس،بخلاف القمر فإنه نور محض ، فيه إشراق بغير إحراق ، قال عز وجل:(هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) يونس (آية5) (جامع العلوم والحكم:2/165-169).

وأما سر الاقتران بين الصبر والصلاة :-فإن الصلاة نور مطلق، وفيها راحة للنفس، كما ورد في الحديث (ارحنا بالصلاة يا بلال) صححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود :4171-4172).

والصلاة فيها أيضا قرة عين للمؤمن ،كما في الحديث : (وجعلت قرة عيني في الصلاة

) صححه الألباني في صحيح سنن النسائي رقم 3680.

وأما الصبر فهو كما ورد في الحديث (الصبر ضياء) والضياء: نور فيه نوع حرارة. ونور الصبر هو إنارته لقلب المؤمن وبصيرته عند صبره على الطاعات، وصبره عن المعاصي والمنكرات واستبصاره الحق عند صبره على البلايا والنوازل والملمات، مع ما للصبر ونوره من عواقب حميدة في الدنيا والآخرة وهذا كله لمن أخلص صبره لله وحده.

وأما حرارة الصبر فهي بسبب ضبط النفس وحبسها وإرغامها على ما تكره.

ومما سبق نجد أن الصلاة نور مطلق ، ولكنه نور بارد،إذ راحة النفس وقرة العين لا تكون إلا من شيء بارد.

وأما الصبر فهو نور ولكنه نور فيه نوع حرارة وإحراق كضياء الشمس.

فالمؤمن في هذه الحياة يحتاج إلى الصبر في جميع أحواله خاصة حال البلاء ،ولما كان الصبر فيه نوع حرارة فهنا تاتي الصلاة -التي فيها برودة -لتخفف حرارة الصبر ، بل قد تطفئها بإذن الله.

فعلى قدر إكثار المؤمن من الصلاة من جانب ، وعلى قدر خشوعه فيها من جانب آخر ، يكون تخفيف حرارة الصبر أو إطفاؤها .

وأما عندما يريد المؤمن أن يخشع في صلاته لتكون راحة لنفسه وقرة لعينه ،فلا بد له من الصبر في حالتين:

- الصبر في دفع الأسباب المانعة من الخشوع .
- الصبر على استجلاب الأسباب المعينة على الخشوع.

فعلى قدر الصبر في الحالتين يكون خشوعه في صلاته.

وتمثيل ذلك :أن الصبر كضوء الشمس ، والصلاة والخشوع فيها كنور القمر ، فالقمر يستمد نوره من ضوء الشمس ، فعلى قدر ضوء الشمس يكون نور القمر هلالاً أو بدراً. ففي حال البلاء تكون حرارة الصبر مع برودة الصلاة ،وفي حال الخشوع يكون ضوء الصبر (الشمس)، ويكون نور الصلاة (القمر).

شخصيات إسلامية

عمر بن عبدالعزيز

عصرُ عمر بن عبد العزيز كان عصراً مميزًا عن العصور التي بعده ، وكانت سيرته أشبه بسيرة الخلفاء الراشدين ، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى عصره ، وأثنى عليه ، فعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ : سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : (لاَ يَزَالُ الإِسْلاَمُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً) ثُمَّ قَالَ كَلِمَةً لَمْ أَفْهَمْهَا ، فَقُلْتُ لأَبِي : مَا قَالَ ؟ فَقَالَ : (كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ) .

رواه البخاري (6796) ومسلم (1821) - واللفظ له -.

قال ابن حجر - رحمه الله - في بيان تعداد أولئك الخلفاء - :

في بعض طرق الحديث الصحيحة (كُلهم يَجْتَمِعُ عَلَيْه النَّاسُ) ، وإيضاح ذلك : أَنَّ المُرَاد بِالاِجْتِمَاعِ : انْقِيَادهم لبيعته ، والذي وقع : أن الناس اجتمعوا على أبي بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين ، فسمي معاوية يومئذ بالخلافة ، ثم اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن ، ثم اجتمعوا على ولده يزيد ... ثم لما مات يزيد وقع الاختلاف إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان ... ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة : الوليد ، ثم سليمان ، ثم يزيد ، ثم هشام ، وتخلل بين سليمان ويزيد : عمر بن عبد العزيز ، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين ، والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، اجتمع الناس عليه ، لما مات عمه هشام .

« فتح الباري » (13 / 214).

وقد عدّ كثير من العلماء عمر بن عبد العزيز رحمه الله من مجددي هذا الدين .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : (إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا) .

رواه أبو داود (4291) ، وصححه الألباني في « صحيح أبي داود » .

قال ابن كثير - رحمه الله - : فقال جماعة من أهل العلم ، منهم أحمد بن حنبل - فيما ذكره ابن الجوزي وغيره - : إن عمر بن عبد العزيز كان على رأس المائة الأولى ، وإن كان هو أولى من دخل في ذلك ، وأحق ؛ لإمامته ، وعموم ولايته ، وقيامه ، واجتهاده في تنفيذ الحق ، فقد كانت سيرته شبيهة بسيرة عمر بن الخطاب ، وكان كثيراً ما تشبّه به .

كان عمر بن الخطاب يقول إما بإخبار النبي صلى الله عليه وسلم له ، أو برؤيا في منامه : إنه سيلي من ذريته رجل يعدل بين الناس ، وكان يقول : إن من ولدي رجلاً بوجهه شين يلي بملأ الأرض عدلا .

قال ابن كثير رحمه الله :

وكان نافع مولى ابن عمر يقول : « لا أحسبه إلا عمر بن عبد العزيز » . وقد روي ذلك عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب نحوا من هذا ، وقد كان هذا الأمر مشهورا قبل ولايته ، وميلاده ، بالكلية ، أنه يلي رجل من بني أمية يقال له : « أشج بني مروان » . وكانت أمه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب .

أما سيرته رحمه الله تعالى : فقد كانت مثالا عظيما ، ومضربا للمثل ، في عدله ، وزهده ، وحُسن خُلقه ، وهذه مقتطفات من سيرته نختارها من كتاب « البداية والنهاية » لابن كثير رحمه الله (9 / 217) فما فوقها .

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبو حفص ، القرشي ، الأموي ، المعروف ، أمير المؤمنين ، وأمه أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ويقال له « أشج بني مروان » .

، وكان حكماً ، مقسطاً ، وإماماً عادلاً ، وورعاً دَيِّناً ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، رحمه الله تعالى .

صفات نهى عنها الله

من الصفات الذميمة التي نهى الله عنها عباده

السخرية من الناس .. واحتقارهم

من الصفات الذميمة التي ذمها الله ورسوله السخرية بالناس واحتقارهم، قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: 1]، والويل: كلمة تهديد ووعيد لمن كانت هذه صفاته، قال المعلمي رحمه الله: الهمز هو السخرية من الناس بالإشارة: كتحريك اليد قرب الرأس إشارة إلى الوصف بالجنون، أو الإشارة بالعين رمزاً للاستخفاف أو نحو ذلك.

واللمز: هو السخرية من الناس بالقول، كتسمية الشخص باسم يدل على عاهة فيه أو مرض، أو اتهامه بخليقة سيئة، أو التعريض بذلك.اهـ[1]

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ [الحجرات: 11].

قال الطبري رحمه الله: «إن الله عمّ بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض بجميع معاني السخرية، فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره ولا لذنب ركبه ولا لغير ذلك»[2]، وقال أيضا في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ [الحجرات: 11]: «أولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله - تعالى ذكره - نهى المؤمنين أن يتنابزوا بالألقاب، والتنابز بالألقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وعمّ الله بنهيه ذلك ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض، فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه أو صفة يكرهها»[3].

روى أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفية كذا وكذا- قال غير مسدد: تعني قصيرة- فقال:«لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته» قالت: وحكيت له إنساناً فقال: «ما أحب أني حكيت إنساناً، وأن لي كذا وكذا»[4].

وروى البخاري في صحيحه من حديث المعرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني سابيت رجلاً فعيرته بأمه، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»[5]، والسخرية بالناس من سمات الكفار والمنافقين، وقد نهينا عن التشبه بهم، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: 79].

قال ابن كثير رحمه الله: «هذه أيضا من صفات المنافقين لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم في جميع الأحوال، حتى المتصدقون لا يسلمون منهم، إن جاء أحدهم بمال كثير قالوا: مُراء، وإن جاء بقليل قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا»[6].اهـ.

والسخرية تميت القلب وتورثه الغفلة، حتى إذا كان يوم القيامة ندم الساخر وتحسر على فعله، قال تعالى: ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ [الزمر: 56]

والسخرية من الناس عاقبتها وخيمة في الدنيا والآخرة، في الدنيا قد يبتلى الساخر بمثل ما سخر به، وفي الآخرة عذاب الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ × وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ × وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴾ [المطففين: 29-31].

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب: 58].

والساخر بعيد عن ربه قريب من الشيطان، قال تعالى عن الكفار: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ × فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ × إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [المؤمنون: 109-111].

قال القرطبي: «يستفاد من هذا التحذير من السخرية والاستهزاء بالضعفاء والمساكين، والاحتقار لهم والإزراء عليهم، والاشتغال بهم فيما لا يعني، وأن ذلك مبعد من الله عز وجل»[7]. ومما تقدم، يتبين لنا أن السخرية بالناس ذنب عظيم، مناف للدّين والمروءة والأدب.

ومن صور هذا الاستهزاء في وقتنا المعاصر:

السخرية بالعلماء والمشايخ، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وغيرهم من أهل الصلاح والخير، ولمزهم بالألقاب السيئة، وتأليف القصص المكذوبة التي تسمّى النكت عليهم، وقد نص بعض أهل العلم على أن الساخر من العلماء أو الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر إذا كان يسخر منهم لدينهم لا لذاتهم، فإن هذا من الكفر المخرج من دائرة الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ × لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: 65].

ومنها السخرية بالعمال المقيمين في هذه البلاد، أو الفقراء وضعفة الناس، واحتقارهم؛ لأن هذا من الجنسية أو البلد الفلاني. روى البخاري في صحيحه من حديث سهل رضي الله عنه قال: مرّ رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:«ما تقولون في هذا؟» قالوا: حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يُستمع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»[8]، وما يدري هذا الساخر لعل الذي سخر منه خير وأتقى لله منه!، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: 13].

قال محمود الغزنوي:

فلا تحقرن خلقا من الناس عله
ولي إله العالمين وما تدري
فذو القدر عند الله خاف عن الورى
كما خفيت عن علمهم ليلة القدر

ومنها السخرية بالجيران والأصدقاء والأقارب، وقد يكون الحامل على هذه السخرية والاحتقار هو الحسد، فقد يبرز بعض الناس عند أقاربه أو أصدقائه بتجارة أو علم أو دراسة فيسخرون منه، ويلمزونه في المجالس: ليسقطوه من أعين الناس. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[9].